

على الغلاف لم يشذ فلاديمير بوتين عن تقاليد الانتخابية. الرئيس الروسي المتجه نحو ولاية رابعة، في الثامن عشر من آذار الجاري، اختار الخطابة وسيلةً لعرض ما يُشبه البرنامج الانتخابي، متعهداً، في كلمته السنوية أمام البرلمان الروسي، بتحقيق «الانتصارات» و«النجاحات» لروسيا خلال العقد المقبل، وموجهاً رسالةً ردم استراتيجي بالغة الأهمية، من خلال عرض نماذج جديدة من أحدث المنظومات العسكرية في العالم

«الولاية الرابعة» أعلى مراحل «بناء الدولة»

بوتين يرسم ملامح «روسيا المستقبل»

الروسي، مشدداً في الوقت ذاته على أن «التطور بشكل ديناميكي يتطلب توسيع نطاق الحرية في كل المجالات، ولا سيما على مستوى المؤسسات الديموقراطية، والإدارات المحلية، والمحاكم... وضرورة الانفتاح على كل المبادرات».

وأكد بوتين أن «رفاهية المواطنين هي الأولوية والعامل الرئيسي في تطور روسيا». ولفت في هذا الإطار، إلى «ضرورة أن تثبت روسيا مكانتها ضمن الاقتصادات الخمسة الكبرى عالمياً، وأن تحقق زيادة في الناتج الداخلي الإجمالي بمعدل الضعف ونصف الضعف في منتصف العقد المقبل». وأضاف «يجب أن نحدد مستقبلنا بأنفسنا»، معتبراً أن «العامل الأساس للتنمية هو معيشة جيدة للناس، والاكتفاء الذاتي

وضمناً الاستقرار في كل مجالات الحياة، وهذا أمر بالغ الأهمية في دولة متعددة القوميات والثقافات»، مشدداً في الوقت ذاته على أن «الاستقرار يبقى الأساس، لكنه ليس وحده الضامن للتطور والتقدم»، إذ ثمة «مشاكل أخرى عديدة ينبغي إيجاد الحلول لها».

وأكد بوتين أن «روسيا جاهزة دوماً للتطور والتقدم»، لكنه نخبه إلى أن ذلك يبقى مرتبطاً بـ«السعي الدؤوب لمواكبة التطور التقني الهائل» في العالم، محذراً من أن «التأخر في مجال التكنولوجيا يشكل أبرز تهديد وهو عدونا الأول».

وأضاف «نحن مستعدون للتصدي لكل ذلك، وتحقيق القفزة القادمة، وهو ما تأكد من خلال النتائج التي حققناها معاً لجهة تماسك المجتمع

كان أبرزها الحرب مع جورجيا. ومن خلفها «الأطلسي». في عام 2008. وقياساً إلى الخطابات/ البرامج الرئاسية السابقة، يمكن القول إن ما قدمه بوتين، أمس، عكس ثقة كبيرة بالقدرات التي يمكن أن تجعل «روسيا المستقبل» تسلك طريق «الانتصارات» و«الإنجازات»، وإدراكاً عميقاً للمعوقات والتحديات، التي ينبغي التصدي لها، خلال الولاية الرئاسية الرابعة. انطلاقةً من ذلك، خصص بوتين ساعة وعشر دقائق، من فترة الخطاب الذي استغرق ساعتين، للحديث عن الخطة الشاملة، لتطوير الاقتصاد والمجتمع، إذ أشار إلى «أننا حققنا التطور الكبير في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، وحافظنا على وحدة الشعب،

انتشالهم من العشرية «اليلتسينية» السوداء، بما رافقها من انهيار على المستوى الاقتصادي، وبالتالي تراجع المكانة الدولية لروسيا في العالم، عادةً عقد على انهيار الاتحاد السوفياتي، وقلق، يصل إلى حالة الهلع، على أمن روسيا نفسها، بعدما طاولت شظايا الحرب الشيشانية المدن الروسية، وصارت المباني السكنية والتجارية هدفاً للتفجيرات الإرهابية.

يومها، قدم بوتين ما يشبه البرنامج الانتخابي، الذي كان عبارة عن رسالة إلى الشعب الروسي، بعنوان «روسيا في مطلع الألفية الثالثة»، تضمنت تصورات الرئيس الجديد حول الأسئلة الأكثر إلحاحاً، التي كانت تواجه المجتمع الروسي في تلك الفترة، بدءاً من سبل التغلب على «الانقسام الأيديولوجي» بين الشيوعية والرأسمالية، و«توحيد الشعب» لتجاوز إرثاصات زلزال العصر، وصولاً إلى الخطوط العامة للتنمية الاقتصادية - الاجتماعية، من خلال تقويم مكان الخلل في «اقتصاد السوق»، والتي تجلت في أسوأ ممارسات الفساد والاحتكار من قبل «الأوليغارشية» النافذة.

بحلول عام 2004، كانت معظم تلك التصورات قد سلكت طريق التنفيذ، برغم بعض الثغرات، التي لم تكن لتؤثر على شعبية الرئيس الثاني لروسيا الاتحادية، وخصوصاً بعدما تلمس الروس تحسناً ملحوظاً، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، مقارنة بما الت إليه الحال في عهد بوريس يلتسين، مضافاً إليه أمناً اجتماعياً وسياسياً، تبذى خصوصاً في الانتصار على الإرهاب في جمهورية الشيشان.

وكما الحال، في انتخابات عام 2000، لم يقدم بوتين في انتخابات عام 2004، التي فاز بها بنسبة تأييد بلغت 71,9 في المئة، برنامجاً انتخابياً مباشراً، فاقصر الأمر على خطابات متفرقة، ومؤتمرات صحافية سنوية موسعة، باتت تقليداً رئاسياً منذ عام 2001، لكن الخطوط العريضة للبرنامج الرئاسي تمحورت حول عنوان جامع هو «الدولة القوية»، بعد تجاوز هدف «المجتمع الموحد»، بما تتطلبه تلك «الدولة» من إجراءات إصلاحية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والقيام بالأدوار التي تليق بها على مسرح السياسة الدولية، لجهة مواجهة التحديات العسكرية، في ظل تنامي الطموحات «الأطلسية» التوسعية.

أما الولاية الثالثة، أي الحالية، فقد مهد بوتين لبرنامجها خلال فترة تبادل الرئاسة، مع صديقه الوثيق ديمتري ميدفيديف (2008 - 2012)، حين تولى رئاسة الحكومة لأربعة أعوام، قبل أن يُعاد انتخابه رئيساً للبلاد، بنسبة تأييد بلغت 63,60 في المئة، والتي اتسمت بعملية تحديث كبيرة، على المستويين الاقتصادي والاجتماعي في الداخل، وتكريس العودة العملية لروسيا على المسرح الدولي، من خلال خطوات «مفاجئة»

وسام هني

«العقد المقبل سيكون مرحلة انتصاراتنا الساطعة ونجاحاتنا المشتركة، وأنا واثق من أن ذلك سيحصل». بهذه الكلمات، اختار فلاديمير بوتين أن يختم أطول خطاب رئاسي له، أمام الجمعية الاتحادية، تطرق خلاله إلى أدق التفاصيل المرتبطة بإنجازات الولاية الرئاسية الثالثة، وطموحات الولاية الرئاسية الرابعة وتحدياتها، والتي اختزلتها عبارة «روسيا المستقبل»، التي ترذدت كثيراً على لسان سيد الكرملين.

الخطاب الرئاسي، الذي اختير توقيته بدقة، قبل 18 يوماً من الموعد الرسمي للانتخابات الروسية، شكل



عكس إدراكاً عميقاً لمعوقات الولاية الرئاسية الرابعة وتحدياتها

فهم «تاريخية» الخطاب لا يكتمل، قبل مقارنته بخطابات الولايات الثلاث



برنامج عمل للسنوات المقبلة، التي تتخطى السنوات الست للولاية الرابعة، والذي حرص بوتين على أن يجعله استراتيجياً، غير مرتبط برئيس روسي بعينه، إن في منحاه الاقتصادي الذي ركز على ضرورة الاستمرار في تحقيق النمو في سياق النسخة الروسية لـ«اقتصاد السوق»، أو في جوانبه الاجتماعية، المرتكزة على النمو الديموغرافي وحماية القيم العائلية، أو في الجوانب الأمنية المتمثلة في تقديم أحدث نسخ من منظومات الصواريخ، في مواجهة التهديدات «الأطلسية».

في العموم، يمكن وصف خطاب بوتين بـ«التاريخي»، ليس بسبب كسره الرقم القياسي للخطابات الرئاسية، باستغراقه نحو ساعتين، قسّمت بالتساوي بين السياسات الداخلية والسياسات الأمنية والخارجية، ولا في فرادته الشكلية، من خلال اعتماد الرسوم البيانية والوسائط البصرية، وإنما في كونه شكل من الناحية العملية، البرنامج الفعلي لبرنامج «إعادة بناء الدولة»، الذي أقتحم به ضابط الاستخبارات السابق المشهد السياسي الروسي والدولي، في مطلع «الألفية الثالثة». ولعل فهم «تاريخية» الخطاب «الجوتيني» أمس، لا يكتمل، قبل مقارنته بخطابات الولايات الرئاسية الثلاث. أول تلك الخطابات، كان قبيل انتخابات عام 2000، التي فاز بها بوتين بنسبة تأييد بلغت 52,9 في المئة. في تلك الانتخابات، لم يكن بوتين قد أمضى في الحكم، بصفة رئيس مؤقت، سوى بضعة أشهر، كانت كفيلاً لأن يجد فيه الروس «مخلصاً» قادراً على

أشار إلى أن بلاده تمكنت من إحداث تغيير جذري في ما يخص الوضع الديموغرافي (موقع الكرملين)

